

الحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
صلى الله عليه وسلم  
١٤٧١ هـ

## حديث الماء والنار

شعر

محمد صالح الخولاني

الخلولانى - محمد صالآ

( آءىء الماء والنار : شعر / محمد صالآ الخلولانى - ط )

. ، بورسعيد : آرت بورت للءعاية والإعلان  
والنشر ، ٢٠٠٧

١٠١ ص ؛ ٢٤ س م

ت د م ك

٩٧٧٦٠٧٧١٨٨

١- الشعر العربى - تاريخ - العصر الآءىء

٨١١,٩

## إهداء

إلى ذكرى أبى

...

أيها المائل دوماً فى دمائى  
منذ أن شبّ بقلبي  
وتداعى فى تضاعيف وجودى  
صوبك الممتد فى أعماق دنيائى الصغيرة  
يا خيالاً

كلما حنق فى الأفق نداء  
جنت من خلفك مأموماً أصلى  
رغم هذا السفر الممتد ما بين صنوعى  
وارتعاشاتك فى أفق النداءات العلنية  
يا تباريحى الذكية  
ومواعيد صلاتى  
وفيوضات العطاء الموسمية  
أدعُ لى



## صمت النهر

كنا نسامر وجهه الفضى  
نستدنيه تاريخاً من العبق العتيق  
تلقى الرسائل بين أيدينا فنسألها  
لغة تحور فى المدى المخبوء فى دمن التباريح القديمة

\*\*\*

كنا نباهى فيه أزمتنا مراوغة عنيدة  
ونلوذ فى أكنافه بالظل يوصلنا لفى المدنفين  
كنا إذا اندلعت بنا الأوهام نسأله  
زلفى فيمنحنا براءات اليقين  
يأبها الزمن الذى ولّى  
لترحل فى زواياك التى ما أظلماتها الريح يوماً  
أشواقنا المستنسخات من التراتيل العتيقة  
ألأنا عدنا ظلالاً من رؤى ضلّت مرافقها الغربية  
نرتد فيك ثمالة  
خرساء فى كأس مراوغة ملول ؟  
ألأنا عدنا حكايات يباريها ضباب الغيم أن تنسل أفرأحاً جديدة ؟  
نترصد الأصداء فيك

لتستحيل لغاتها العجماء موسيقا صديقه  
لكن صمت النهر يُقرننا أحاجيه العتيمه  
ويراوغ الأشواق فى دمننا  
بلا أصداء بارقه تلوح

\*\*\*

هو ذلك النهر الذى كنا إذا نلقاه يومئ بالتحايا  
ويذيب فى شفه المساء أغاني الأكوان تصدح فى المروج  
يمضى يحلق فوق هام النخل يهديها الهدايا  
ويروح يمعن فى لغات الطير يعزفها تراتيلاً وآيا  
وصباية تنداح كالنيران تورق فى صدور العاشقين

\*\*\*

هو ذلك النهر الذى قد كان يوقظنا  
لنروح نعدو خلف بهجتنا  
ونطير فوق مراحم المعقود ألوية وتيجانا وعيدا  
ونسابق الفرع المجنح فى انفلات الريح فى ولع الصبايا  
ليصير فى الأحداق أجنحة  
وينبت فى حدائقها مرايا  
والآن إن أقبلت أسأله  
شفة تحدث عن صدى نبأ قديم  
وإذا أتيت أرى بين يديه أصداء اعتاق الذكريات

لم يُولِنِي سَمْعاً وَأُنْكَرَنِي  
مِثْلَ الْمَسْنِينِ الْجُذْبِ تَنْكَرُ مَوْسِمَ الْغَيْثِ الْقَدِيمِ

\*\*\*

يَايْهَا النَّهْرُ الَّذِي ضَيَّعْتُ فِيكَ صِبَابَتِي  
وَأَرْقَتْ فِيكَ الْعُمُرَ عَاماً بَعْدَ عَامٍ بَعْدَ عَامٍ  
لَمْ أُولِكِ التَّنْكَرَانَ حِينَ ظَمَنْتُ لِلْفَرْحِ الْعَنِيدَ  
لَا . مَا اصْطَفَيْتُ سِوَى أَغَاتِيكَ الْمَجْنَحَةَ الْعَذَابِ  
وَسِوَى مِرَاتَعِكَ الَّتِي  
غَنَيْتُ فِيهَا الْعَشْقَ يُولَدُ مِنْ تَبَارِيحِ الْعَذَابِ  
حَتَّى مَتَى أَصْبُو  
فَلَا أُرْتَادُ فِيكَ سِوَى مَوَاسِمِكَ الْجَدِيدَةِ ؟  
وَسِوَى ارْتِحَالِكَ فِي انْدِيَاكِ الْمَوْجِ  
يَمْضِي نَحْوَ آفَاقٍ غَرِيبَةٍ  
حَتَّى مَتَى أُولِيكَ أَوْرَدَتِي  
تَنْسَابُ فِيكَ مَدَى مِنَ الْأَوْرَادِ تَرْفَعُهَا صَلَاةُ الْمُخْبِتِينَ ؟  
فَتَرْدُنِي عَنْ شَاطِئِكَ مَدَى  
أَقْصَى فَلَا أَسْتَأْفِ مِنْكَ سِوَى سِوَاكِ الْبَخِيلَةِ  
وَسِوَى صَدَى الظَّمَانِ تَوَغَّلَ فِيهِ هَاجِرَةٌ غَشُومٌ ؟

\*\*\*

يَايْهَا النَّهْرُ الْمُدْجِجُ بِالْإِبَاءِ

لو جئتُ أفترع المدى  
أرجوه يفتح لى كوى  
ينهل منها الماء . يغسلنى  
يبارك فى ماضيتُ عبر السنين  
ويذيب فوق ركام جلدئ ذلك الصدا الذى غشاه دهرا  
ألقيه يعصر مقلتيك لظى ويمعن فى اجتياح الماء يذروه هشيما  
أكذا تثيب رفاق ليك وأصليك بكل آصرة رعووم !؟  
وبكل صوب من مرامى العشق توحيه التباريح المهيجة  
رحمك بى  
يا أيها النهر المدمج بالجنون

يناير ٢٠٠٣



## ثلاثة أوجه .. للبراءة

” طاعوت العالم الجديد ”

براءة ذمتك امتصت الماء من مقلتيك  
فلم تقو أن ترد الماء . تستوضئ النهر إلا بنار السموم  
وهاهو ذا النهر الذى خلت أنك تصليه سوما  
يعود فيصلبك من نقمة الليل أحزانه الموغلات العقيم  
توضأ بنارك وامسح على رأسك العار  
واصلب على صهوة الموت أقوالك المفتراة  
لعل البراءة إن جنت تلقى إليها المعاذير كى تطفئ النار فى  
مقلتيك

تواتيك بالقدر الذى كنت ترجوه يوما

\*\*\*

أتذكر .. نادتك أكذوبة الوقت منطلقاً فوق متن الأراحيف  
ممتطياً صهوة النشوة المدعاة الحرام  
فبادرت الصوت ثلثك المستفزة باللوثة الجامحة  
وغادتك . حطت برجليك مهمازه النار والعنفوان  
وهأنت تصلى الذى كنت مستعصماً تتحاشى مداه

\*\*\*

براءة وجهك  
هذا الذى كان تحت القناع زنيماً . رجياً . أنيماً  
وفوق القناع ارتدى فورة المستبد الجسور  
تحامتك تلك البراءة  
وارتد من خلفها الوثن الفائر المستثار  
فعدت كما أملت الريح دفتك المستريب الأتيم  
وعادت خطاك على مدرج النار أمثولة للتداعى  
وللنزق الخائر المستنيم  
لشهوة ليل غضوب كذوب  
\*\*\*

براءة كفيك  
تلك التى لم تصادق مداها الأقاويل  
ما باركتها المزامير  
ماعانقتها سوى اللغة الآئمة  
تحامتك تلك البراءة  
فاخلغ ثيابك فوق الغدير  
وألقي بما صار منك إلى الماء  
والمم شظاياك  
غادر إلى لغة لا يضى مداها النهار  
وعد حيث أحلامك الرابضات على شفة الموت تقفوك رعبا

فما زال فى الشمس متسع قبل فوت النهار  
وقبل اضطرارك أن تلج النار قبل اضطرار الظلام

\*\*\*

براءتك انتالت الآن فوقك شؤيوب نار  
وفورة حزن عصي عتي  
تحاصرك اللعة المستحثة خطو الأقاويل  
تمليك حرفاً خنونا  
سديماً من العصف  
دنيا مدججة بالأراجيف  
موسومة بالتدلاع المواقيت  
مرقومة باللظى والدخان  
تماديك فى اللغو ما عاد يجديك شيئاً  
ودريك هذا الذى شدته بالملاحاة  
ماعاد درباً حقيماً  
وسمك هذا الذى وسمته الأناشيد  
ما عاد لحنأ شجياً  
إزاء الذى جئت شيئاً قريباً  
وبعد انتحالك صوت المزامير إفكاً وزورا  
وبعد ارتحالك خلف تماديك دهرأ عصياً  
فعد واقراً النار تنبئك كيف يكون المسير

وكيف ينوب إلى شفة النهر في الليل سربٌ حسيّرٌ كسير  
فلا النهر يوليه إلا انطفاء الينابيع  
حين يُجَنُّ الصدى  
ولا الليل يوليه إلا انكفاء المواعيد خلف الهزيع الأخير

يولية ٢٠٠٣

## أحزان التاسع من نيسان

مدخل

...

إننا لنمقت أن نقيم طقوسنا  
لنخرّ تحت قوائم الأوثان نمنحها قنوت الوقت  
نسقيها دماء اللحظة المرخاة من وهن السنين المطفآت  
وكما نحاذر أن تؤله في دملنا الريح  
نكره أن نصنّى للمواقيت الكذوب  
تنحاز في دملنا المواجد للبراءة  
حين تؤاد في عيون المرعبين  
تنحاز للفرح المراق على شفير الليل  
نصليه اقتحاماً واحتداماً  
ونبيع في دملنا الحياه  
دون انتظار أن تواتينا بروق الوقت  
نمنحنا براءات النزوح إلى مراقينا العصيه

\*\*\*

الليلة انطفأت بعينى المواعيد التى قد أجلتها الريح أزماناً  
حرونا  
تلك التى ساورتها دهرأ عصى البوح مشتعل الرماد

وانهذه في المجداف أذرعه  
تلك التي قد أنخننتها الموجة العمياء تحت سنايك الليل المغيرة

\*\*\*

الليلة اندلعت بأرضى اللعنة المعصوبة العينين تجتاز المدى  
لما ترامت خلف ناصية التواريخ العتيقة  
واستعجلتها الريح سافيةً معربةً جموحا

\*\*\*

ما كنت أحسب أن ليلاً فائراً بالموت ينتحل البروق  
ليحيل بالأفق المضمخ بالروى النشوى وبالعبق المجيد  
أبهاءه لهباً تجاسر أن يسيل على الدرب  
ويعاتق القمم المهيبة في ذرا بغداد يعصرها دماءً  
ويبادر الأطفال في أحلامها اللاتي انطفأن على المهاد  
فتخرُ فوق رؤى عوالمها البرينة  
دنيا مضت تنحل فوق رؤوسها شعلاً مضيئة  
ونظى وأطيافاً مفزعةً تخايل بالرماد وبال دخان  
وسواقى النهرين كنت أعيذها  
أن تستلين لوطاة الليل المدجج أن تغير على الصباح

\*\*\*

شلت يداى الآن  
وانبجست بقلبي النار وانطفأ الغناء

وهوت على الفرح المؤجل

سورة الإعصار تحطمه هشيما

\*\*\*

قد كنت أبصر للعراق مدى

يعاتق قبة الأقصى ويمطرها وعودا

قد كنت أرقبه

يهيئاً للمواعيد المشاكسة الجسور

وأرى التوجس يستثير الحية الرقطاء

يملؤها ارتعابا

لما تقاعس دونها

زمر مفزعة بليده

والآن فلتهنئ

ومدى فرعك المنسل ينتهب المدى

واسعى . ترامى فى مناكبها مخاتلة وكيدا

فلقد ربحت الآن صيدا

وهوت لقبضتك المديده من ذراها الشم آفاق عنيده

خطى على صفحاتك السوداء خطتك الوئيدة

وتهينى

كى تزحم التاريخ دنيك الجديده

كى تستبيحى ما تراخت عنه أيدى المرعبين

ثم اركزى أعلامك الزرقاء تنهل من دموع الكبرياء  
راياتنا الفرعاء ما عادت تهش لها السماء  
ما عاد فى عزوماتها  
طوقٌ يحلق فى الفضاء  
فقد انطوين يقمن فوق الساح ألوية الغزاء  
ولتهنئوا يا أصدقاء الغولة الرعناء ولترضوا منى  
ولتشربوا أنخابكم  
عسلاً تقطر من دم الأطفال  
تنزع من صدور الأمهات  
ولتستطيبوا الآن رائحة الشواء  
نفوح من جنث العقيلات التكالى  
الملقيات على شفير النار تأكلهن عاصفة الحريق  
شدو العقال على العقال ورتلوا سور النضال  
واستقروا صوب المآذن أن حى على القتال  
ثم استديروا قبلوا رأس المغولى الجديد  
صلوا على أعتابه  
واستمطروا البركات من كفيه وارتحلوا حجيجاً  
فلقد أتاح لكم بما أدلى به زمناً بهيجا  
زمناً تقاطر من رؤاه مدى من الألق الطروب  
ينسل فى فرح يحاذر أن يسيل على الدروب



لكنما تُفشى سوانحه الخفيه  
لَمَعَ بوارق يستحث نداؤها  
صوب الخطى خلف المسارات العصية  
\*\*\*

شلت يداى الآن  
وانبجست بقلبي النار  
وانطفأ الغناء  
وهوت على الفرع المؤجل سورة الإعصار تحطمه .. هشيما

أبريل ٢٠٠٣

## إيقاعات

### على أنشودة المطر

ومع الاعتذار لشاعر العراق

الكبير بدر شاكر السياب

...

مطر . مطر . مطر

يابصرة التاريخ . يا بغداد يا أرياف . يا حضر

يا كربلاء يا متلوة السور

" عينك غابتا نخيل ساعة السحر "

الآن عادتا

نافورتين تقدحان بالأسى وبالشرر

وشرفتين راح ينأى عنهما القمر

من بعد ما استثار خلفه

سحائب الظلام والقتام

ووجه كذاب مختلٍ أشر

\*\*\*

يا أنجماً طعينةً تلوب في المدار

ما مرّ يومٌ ليس في العراق نار

ما مرّ صبحٌ ضارِعٌ

ما اتّهار في عيونه

دربٌ ومسجدٌ وقبةٌ ودار

\*\*\*

مطر . مطر . مطر

سحائبٌ تُجاجةٌ

بالنار والبارود والرماد والردى

أرى على متونها

مهيجةٌ جحافلُ التتر

وأسمع النخيل وهو يشرب المطر

قذائفاً ملغومةً

بالموت والدماء وانتكاسة الخطر

وبانطفاء المدى فى أعين البشر

ماعاد يُنَجى من سعيها

تَدْرُعُ ولا تَقِيَّةٌ ولا حذر

ما أيسر السفر

ما بين كربلاء والرصافة المحلولة الإزار

وبين ما يراد فى الكويت

فى البحرين . فى قطر

يا عار أن ينداح فى السطور كل ساعة خبر

يلوب فى اسمٍ يعربى السميت والصدى

تحت انهيار القيمة الفرعاء ماد وانتحر

ياخزى ما يتوّج العقل هامة  
يبيع قبل النفط عزة انتمائه المجيده  
وعروة الموائق الجليلة الخطر

\*\*\*

يا دفقة تروّع النجوم فى السماء  
أرى السحاب المريبة الخطى  
تمور بالدماء  
فتستفيق ملء روى رعدة البكاء  
تثاءب المساء والغيوم ما تزال  
تسح ما تسح من دموعها الثقيل  
فوق الجسور والمعابر الحطيمه  
وفوق كربلاء والأنبار والتجف  
وفوق ما ارتاع وفوق ما ارتجف  
تنزّ فوراً الخلاق الرجيمه  
تضيع وسط الهول والركام والحطام  
من غير أن يبادر الصباح  
فيعقل الجناح أو يكفكف الجراح  
كأن طفلاً بات يهذى قبل أن ينام  
بأن أمه التى أفاق منذ عام  
فلم يجدها ثم حين لجّ فى السؤال

قالوا له بعد غد تعود

\*\*\*

ما مرّ يوم ليس في العراق نار  
ولا دم يهمي ولا غبار  
ولا انبهار يخطف العيون في البريق  
ولا انهمار يستفز فورة الحريق  
تكابد الدروب حزنها  
تلوب في ادلاعة النهار  
فيسحب الليل عليها من دم دثار

\*\*\*

وقبل لحظة اندفاق روحه  
وقبل أن يخرّ فوق صدره المهيج  
يصيح يا خليج يا خليج  
يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى  
هأنت توفى بالوعود والرعود  
هأنت تعبر الحدود  
مُجللاً  
بفورة المخاتل الصديق  
ينسلّ بالحديد والنيران والبروق  
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيق

من زهرة يربُّها الفراتُ بالندى  
ويشعل المدى  
بألف فريةٍ عن عالمٍ جديد  
ينزُّ قبل النفطِ في اندفائه العنيد  
بالدم والقريح وبالصديد  
لكننى برغم ما يدور  
وما تحاكينى به القبور  
أكاد أسمع العراق يذخر الرعود  
ويخزن البروق في السهول والجبال  
حتى إذا ما فضَّ ختمها الرجال  
لم تترك الرياح من ثمود  
في الوادِ من أثر  
مطر . مطر . مطر . مطر

أبريل ٢٠٠٣

## رأية فوق رقاب الجبناء

إلى " أبو عمار "

" وهو سجين محبسه فى مقر الرئاسة "

أيها الناسك فى محرابه

شامخاً فى عنفوان الكبرياء

قيدوا خطوك لكن المدى

من حواليك علو وارتقاء

هل رأيت موثقاً فى سجنه

تسع الأرض خطاه والسماء

آية من عجب تدلى بها

حين يقضى فيك للدنيا قضاء

فى ظليقي موثق فى عاره

وسجين مطلق فى الطلقاء

فيلق يخشون من صولته

ويدارون بزيف الخيلاء

...

أيها المائل فى عين الردى

مشهداً للعز رمزاً للعطاء

رغم ليلِ حالك مضطرب  
بالخطايا يفتريها من يشاء  
ما تزال الأرض فيها نخبة  
حرّة تحيا حياة الشرفاء  
تزنُ الأقدار بالقدر الذي  
لا يمارى فيه زيف وادّعاء  
وطنُ الأحرار في كل مدى  
معجباً يوليك آيات الوفاء  
يصطفيك الحق أن ترقى به  
رايةً فوق رقاب الجبناء  
فلتكن في قمة المجد مدى  
يتسامى من مضاء لمضاء  
ولتكن في ذمة الأرض صدئ  
يتراعى في نداء الشهداء  
أو تكن مرمى لعات مجرم  
دينه بغىً ودنياه اعتداء  
أينما كنت ستبقى صورة  
مصطفاة من تواريخ الإباء  
وستبقى محفلاً يزهى به  
كل من سار على درب الفداء



## من مفكرة مواطن مصرى

...

' غداة السابع من أكتوبر ١٩٧٣ '

...

كنت استخفيت وراء قناع من فاجعتى  
ألمس وجهاً غير الوجه وسمتاً لا يفشينى للغرباء  
كنت تماديت إلى أكنان الظلمة أبحث لى عن مأوى  
يسترنى عن حدقات الأعين لا تتغامز بى  
تصنع من قصة عريى  
وحكايات تتعقبنى ذعراً  
أمثولة عار تمسخنى قرماً مهزولاً قلقاً  
منداح السيرة . تنضح من آبار النعمة  
تقرئ كل الكون بيانى الخائر  
وتقاويم الذعر الناشب فى الأضلاع الصدئة

\*\*\*

مذهولاً كنت أمارس دهشتى المرقومة فى العينين وفى أفنية  
القلب المضمنى  
أتمثل إخوتى الملقين على صحراء التيه  
وبنى المنسلين لوإذا  
يترجون مساحة ظل تؤويهم أو قطرة ماء

\*\*\*

قد كنتُ أجندلُ تحت شمسٍ لا تعرفنى  
ويساوم فى الليل طقوس الحزن  
يمارس فى مراسيم الوقت الممرور  
وأنا منداح فى عاصفة خرقاء غيبه  
تمسخ تاريخى وتقاويم وجودى  
تنسينى زمناً أبلق  
قد كنت أعافر فيه الحلم بهيئاً مفتوناً نرقاً  
لا أذكر إلا زمن الصاخة  
وتهاويل الفزع المجنون

\*\*\*

قد كنت وراء العتمة أجهد أن أستبدل ثوبى  
بثياب لا ينكرنى فيها الوقت  
ولا تعرفها فى عيون الشماتين  
كنت استخفاءً من أحداق الشمس  
أمزق أوراقى وبطاقة تعريفى  
أنحل لى سمتاً واسماً وتضاريساً وبيتاً  
وأبدل فى عنوانى كل مساء رقماً

\*\*\*

ومجازاً من عربى وضياعى واستخذاء خطاى

قد كنتُ كذوباً أزعم لى  
عُرفاءَ وقربى ومريدين  
ورفاقاً لا يَمنونَ لصدقى  
وأصولاً لا تنتسب لعرقى  
وكتاباً وتواريخَ وزلفى لا تنحاز إلى

\*\*\*

وإذا بى  
ذات يومٍ نأتى من زمن  
لم يكن يوحى بظلٍ  
لا ولا شمسٍ ولا ليلٍ مَضَوَى  
ذات يومٍ  
غادر الظلمة منسلّاً إلى عمق التواريخ البهية  
وإلى صوب التراتيل النبيه  
وإلى المعراج يُفضى  
للسماوات المضيئات العلية  
وإلى الأفياء تنهلُ وتثرى  
بالفيوض النيرات القدسية  
وإذا العالم يرتجُ ويصغى  
زائع الفكر مهولاً  
بالفجاءات التى تذهل ألباب الحيارى

يَكْذِبُ الظَّنُّ وَيُولِي الْأَمْرَ دُنْيَا مِنْ تَهَاوِيلِ السَّكَارَى  
وَالْيَقِينُ الْفَائِزُ الْمَرْهُوُ  
يُولِيهِ غُلُوءٌ وَافْتِخَارًا  
يَمْسَحُ الظُّلْمَةَ عَنْ وَجْهِ تَمَادَى  
يُوسِعُ الْأَفْقَ بِلا ذَنْبٍ تَوَلَّاهُ اعْتَذَارًا  
ثُمَّ أَمْسَى  
لَيْسَ يُولِيهِ تَأْوِيلُ الْمُقُولَاتِ الْكَذُوبِ  
لَا وَلَا يُولِيهِ وَجْهًا مُسْتَعَارًا  
دُونَهُ تَسَاقُطُ الْأَوْجِهَةِ ذَلًّا وَانْكَسَارًا  
\*\*\*

وَإِذَا بَى  
فِي مَسَاءٍ وَضَحَى  
أَحْتَمَى فِي كَنْفِ النُّورِ بِمَأْوَى الْأَصْفِيَاءِ  
وَأَخْلَى مَوْقِعَى الْمَوْسُومِ فِي لَيْلِ الْيَتَامَى الْفُقَرَاءِ  
أَذْنُ الْفَجْرِ عَلَى سَارِيَتِي  
وَانْطَوَى بَى زَمَنِ النَّتِيهِ  
وَعَادَتِ لِي تَوَارِيخِي الْبَتُولِ  
فَجَرَى الْمُنْدَاخُ أَبْقَى لِي مِنَ الْعَمْرِ بِقَايَا  
مَوْفِدَاتٍ مِنْ سَمَاءِ الْمَجْدِ تَنْهَلُ مَرَايَا  
رَدًّا لِي كَيْنُونَتِي الْمُلَقَاةُ فِي لَيْلٍ خَرَّافَى مَدَاهِ

سدّد الدين وأوفى  
بتواريخ انبعاثى للحياه  
أرتدى ثوبى الذى خاطته لى  
كفّه من زهوة الشمس ومن عزف الرياح  
ومن النصر المتاح  
من صدى الأتباء مما  
تتجلى عن وجهه صحف الصباح  
تتداعى بالنبوءات التى كُنْ خيالاً  
والتي كُنْ ضلالاً  
خلف الباب تراهنّ عماء وخبلاً  
ثم أضحى كتاباً  
قوله الصدق ودعواه اليقين

\*\*\*

واهمّ من يتداعى  
بالنبوءات المهيضات الكذوب  
من يداجى الفجر بالزور ويرديه قتيلاً  
من يرى فى صحوه الشمس دليلاً مستحيلاً  
يفترى الزيف ويوحى بالمقولات الرديئه  
من يبيع الصدق مقلولاً مغمى  
بتأويل الخطينه

\*\*\*

وإذا بين مساءً وضحى  
عرف النور طريقه  
وترامت فى مدى الأكوان آيات صديقه  
عندها أدركت لى بيتاً وسمتاً  
وتضاريس وعنواناً جلياً  
وبدا وجهى مختالاً فخوراً وحفياً  
ودمى المنساب عطراً  
فى مدى التيه زكياً  
كاد أن يصبح للكون رسولاً ونبياً  
وإذا بى  
أقرأ الرملة فى سيناء أتلوها كتاباً للصلاه  
فوقها قد صلت العصر جنود  
وبتود وجباه وشفاه  
وتسايح وأوراثة بريئه  
وسوافيها التى انساحت إلى الوادى  
بطاقات مضيئه  
تحمل البشرى بيوم العيد  
والزهو بأوب الغرباء  
بالجباه السمر ترتاد مراد الكبرياء  
وتنادى ثارها المضرم ناراً فى الصدور

يستحيل الثأر أنغاماً وعطراً وتحايا  
ونداءات سلامٍ ظافر  
مهرجاناتاً للأناشيد شموساً ومرأياً  
وارتداداً للمواعيد التي ما أخلفتها  
دورة التاريخ منذ انداحت الأرض الخصيبه  
تهب الدنيا فراعين ومجداً ومواسم  
وطقوساً وفنوناً ومراسم  
وارتواءً من شفاه النيل ينهل ندى للعالمين  
تحمل الإبريق والكاس وتسقى الظامتين  
برةً معطاءً يحصى عمرها عمرُ السنين

أكتوبر ٢٠٠٣

## شكوتك للعشق

...

على عهد أيماننا كنت لى  
حبيباً قريباً كما كنت لك  
وكنْتَ لعيْنى أفرأحها  
وكنْتَ لقلْبي مليكاً ملك  
وكنْتَ مُنْاك التى ترتجىها  
وكنْتَ هَواك الذى طاب لك  
فكيف تحوَلْتَ عن دربننا  
وماذا الذى يأتُرَى بِذلك

\*\*\*

حفظتْكَ بالروح ظمآنَةً  
وغلقتْ رُوحى عن سواك  
وأغمضتْ عيني عن كل شمسٍ  
تخايَلُ بالنور حتى أراك  
وكنْتَ إذا ما تراءتْ لقلْبي  
ظلالٌ من الشك تحدو خطاك  
أجادل بالروح رُوحى وأمضى  
على أملٍ كاذبٍ فى هَواك

\*\*\*



أأغرى فؤادك درباً غريباً  
ولاح لعينيك أنساً وطيباً  
فرحت تجرب هذا الطريق  
وصرت أنا منك درباً غريباً  
أم ارتدّ فيك غرامٌ قديمٌ  
صحا بعد أن نام نوماً عجيباً  
فسارعت تحيى مواعيده  
وكان غرامى ادعاءً كذوباً

\*\*\*

شكوتك للعشق لما يصير  
عهداً موثقاً بالوفاء  
وقد علمتني خطاياك أنى  
ألوذ من العشق بالكبرياء  
وأن أتحدّى غراماً مريباً  
يطير به الغدر أنى يشاء  
فمالى سوى عزتى موطنٌ  
ومالى سوى كبرياتى رداء

أغسطس ٢٠٠٣

## النهايات

...

كلما عَنْ لَفكرى  
أن عمر الورد محسوبٌ بنفحِ الطلِّ  
باستغشاءِ فئ . الظل . بالريح التي تومض إيماضاً خفياً  
بارتواء الليل من أنداءِ عطرٍ في المساء  
أن فئءَ النهر مقدور بفئ الوقت مسطور بما قد تصطفيه  
الريح رفداً وعطاءً  
أن مبقات اندلاع الشمس في الأفق صباحاً ومساءً  
زهوةً في الأفق تنحلُّ عماءً في السماء  
حينما يُرْخى على الكون من الظلمة سترٌ وغطاء  
أن سوق المزنة المرخاة غيثاً واندفاقاً وانعتاقاً  
قد تداعى ظمأ القيعان يحسوه شراباً  
وتداعت بعده القيعان بيداً وبيباً  
لم تهين جدولاً للطير ينداح لسقياً  
حينما يوغل فيه القيط . يرديه قتيلاً

\*\*\*

النهايات سعيٌ دافقٌ مشتعل  
والمطايا للنهايات عفيه  
وخطى الريح على الأفق عييه

لا يواتيها المدى المبسوط أن تغوى بأشواق السفر  
فالنهايات تهاويلُ تروغ الليل  
تنساح على خطو النهار  
والمواعيد قفار  
والمرايا فى انكسار الضوء إعصارَ ونار

\*\*\*

حدثينى بالمدى يا هذه الريح العييه  
وابسطى لى ساعة تنشننى  
من تهاويمى التى ينبت فيها الارتحال  
فكرة مشلوله الساقين عجماء كئيله  
حدثينى بالنهايات البعيده  
حينما تقوين أن تمتد للأفق ذراعاك العفيه  
تقبضين الأنجم الملقاة من خلف سديم الأحجيات

\*\*\*

حدثينى عن براءاتى التى تعقلنى  
وعن التوق الذى يوغل مسنوناً كحد السيف لكن فى الهواء  
حينما يومض فى أفق النهايات الخواء  
حدثنى يا هذه الريح وقولى  
كيف تفضى للمدى الرحب دروباً  
رُكزت فيها العلامات التى تنبئك دوماً

أن خط السير مرصود مُغنى  
ليس يفضيك سوى للحافة الملساء تهوى  
فى انحدار الصخر للبحر العميق  
\*\*\*

النهايات كتاب  
أخرس الحرف مضى بالتأويل المهيضه  
وبأوراد التراتيل البغايا المفتراه  
أقرئى لى يا عيون الريح سطرأ  
فى كتاب الزور ينهينى لوعد  
لا تداجينى خطاه  
يتنزى فى دمي حلمات شوقاً وانتظاراً  
إن يرى خلف التأويل المهيضات البغايا  
بارقاً ينهل يوماً  
من متون الصدق . من لون البراءات البتول  
فلعلى  
لم تعد لى قدرة أحسن فيها  
أنطق الحرف الذى صار مرايا حجره  
أوصدى برقي كذوب خادع ليس يوحى لى بظل أو غمام أو مطر

فبراير ٢٠٠٣

أيها المائل دوماً في دماي  
تستثير اللغة النشوى وترتد إلى القلب وصايا  
منذ أن رافقتُ دنياك صبيها  
مستثاراً بالهوى والدهش المعقود خلف الأسنله  
واتدياح القامة الفرعاء يوحى لى بها ظل المآذن  
منذ أن شبّ بقلبي  
وتداعى في تضاعيف وجودي  
صوبك الممتد في أعماق دنياي الصغيره  
يضطفي لى منك أفراحاً وليده  
أتملاها بشوق المغرمين  
وأنا أرتاد هذا الدهش الممتد في  
كل ما في بدنك حفى  
بامتداداتك في فكري التي لا تنتاهي  
والتي كنت بها بين لداتي أتباهي  
كلما أذكر إذ كنت أماشيك صباحاً ومساءً  
مالئاً قبضتك البرّة بالكف الصبيه  
كان إحساساً عجيباً يتمادى في رؤاي  
أننى أملك كل الكون يحصى لخيالى

كلّ ما أملت من كل الرغاب  
كنت أنت القادر الأوفى لأن تملأني  
ثقة تغنى خيالي  
بمراياى التى أرقب فيها  
كل أحلامى التى كنت أعياها  
والتي لا يدعى الطفل إزائى  
فطنة تدنى مداها لليقين  
وإذا ما انداحت الدنيا أمامى  
صار لى منك كتاب  
أتملى فيه دنياك العجيبه

\*\*\*

مفتراً لم تعطك الدنيا سوى كفيك والقلب المنيب  
والمدى الممنوح للعشق لكى ينداح فى الأفق الرحيب  
واحتواء للمقادير تغادىها صيلاً واحتيالاً  
غير أنى  
شمت منك العزة الفرعاء أتلوها كتاباً  
كلما أمعن فى أوراده  
تستبينى فيه أشواق الأباة الطيبين  
ويلاقينى مليئاً  
بارتعاش الخوف منسلاً إلى ماء الوضوء

دينك العفوى مغموساً بخبز الفقراء  
وتعاويدك ألا يوجس الريب إلى خبز الكفاف  
حين تستبرئ من أوزار دنيا المتعبين  
لترى فى حلمك المعقود قبل الفجر  
أطياف المواعيد البتول

\*\*\*

كنت أنداح إلى القيعان أرتاد تباريح الليالى المطفأة  
ربما شرقت أو غربت أو شمالت أو سرت جنوباً  
موفداً من قلق مضن ومن حيرة شك وارتباب  
ومن الأوزار تنهال بها سوط عذاب  
فوق ظهري  
حلقة الليل ووعثاء الدروب  
علنى أظفر يوماً  
بجنى الفكرة يضوى فى ضميرى  
غير أنى  
وأنا المقرور بين الكتب فى ليل الشتاء  
والمعاني فى اندلاع القيقظ ألوان العناء  
باحثاً عن وردة النار التى تشعل دربى  
لم أجد لى فى ارتحالى المر بعضاً من بقايا  
كاندفاق الحكمة المرخاة من كفيك

من بين الثنايا  
لم تحزها من أساطير الزمان  
لا ولم تقرأ بها سرّ بيان  
إنما ألفت نداها  
بين عطفك الموائيق البرينات الوضيئه  
من فيوض الله . من إخبات شوق المختبين  
\*\*\*

حينما يزهى بما يؤثر عن ذخّر وبسطٍ وامتلاء  
وبأشباحٍ وجاهٍ  
وبتاريخٍ مُضاء  
كنت أزهى  
بصبوب العرق الناضح من كفيك والمعقود تاجاً بجبينك  
وبزنديك اللذين انتصبا  
مثل تمثالين فى بهو الأساطير القديمه  
كان إيثارك للجهد تواتيه اقتداراً واعتصاراً  
وتمازيه لكى ينداح خبزاً للصغار  
عزة أزهى بأن أحملها  
فوق صدرى المرفف العارى وساما  
\*\*\*  
كان يضمنيك شقاءً متعباً محترقاً



أن ترى حلمك موعوداً فلا أمضى على الدرب العصى  
ولكيلا يستحيل الحلم ذكرى  
لمدى ليل صدئ  
وردى شوق برئ  
كنت تستنسخ من ماعونك المكدود ماعوناً جديداً  
وتباديني به  
مفعم خاطر بالحمد هنيئاً وسعيداً  
أودع المنّة فى قلبى وروحي وضميرى  
ثم أمضى بالكفاف المانع القلب كنوزاً  
فأريك اللحظة المزهوة الجذلى  
تباريك الغناء

\*\*\*

ما يزال الدهش الطفلى فى  
مائلًا يملؤنى تيهًا وإعجاباً وعجبا  
من شجون البحر تستهدى بها درياً فدرياً  
ذلك البحر الذى صغت لنا منه الأغانى  
ياله من طائرٍ مشتعلٍ  
فوق أبراجك من ذات العماد  
يختفى حيناً وحيناً  
كلما أدعوه عاد

لأرى فيه المرايا

مُشَعَّلَات

ببروق الماء والأصداف والتبر المذاب

وصبايا البحر والجن الذى يسكن قيعان العباب

مائناً كفى من فيض الهدايا

من جنى كل البلاد

حين يمضى بى على ريح ذلول طيحه

فى سكون الفصل أستاذى ينادى سندباد

كنت أنت المائل الماضى على تلك المرايا

تستفز البحر والريح بلا ماء وزاد

كنت أنت الباسط الغيب على درب خيالى

والمواتى

بحكايات اندحار الموج والريح وأنواء الليالى

لا تبالى

أن يكون الموت مرصوداً على قوس المدار

أو يكون الليل موعوداً على صدر النهار

\*\*\*

أيها المائل دوماً فى الدماء

يا خيالاً

كلما حلق فى الأفق نداء

جنتُ من خلفك مأموماً أصلى  
رغم هذا السفر الممدود مابين ضلوعى  
وارتعاشاتك فى أفق النداءات العليّه  
يا تباريحى الزكيّه  
ومواعيد صلاتى  
وفيوضات العطاء الموسميّه  
أدعُ لى  
وأنا المدعُو أن أملأ وِردى بالدعاء  
كلما وافى صباح  
كلما جنّ مساء  
كلما طاف بروحى  
من مُحَيّاك ضياء  
من محياك ضياء

فبراير ٢٠٠٤

## إن البطولة لا تموت

...

في تأبين البطل الفدائي سيد عسران  
قاتل كابتن وليمز قائد المتحاربين  
البريطانية في مدينة بورسعيد خلال  
العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ \*

.....

ذات انطفاءة مغرب  
برز النعي وقال لي : عسران مات  
غميت واستغشيت وانجاب المدى  
شيئاً فشيئاً قلت لا  
يا سيدي .. إن البطولة لا تموت  
إن البطولة مثل حد الشمس منهلاً بأبعاد المدى  
تهب الحياة وتحثي بالأرض . تحتضن السماء  
وتمور في الوجدان أشواقاً مراوغة دوبا  
أرايتها يا سيدي شمساً تموت ؟!  
وكمثل نوء البرق ممطياً قباب النار  
مندلعاً بأفنية الظلام  
أرايته يا سيدي برقاً يموت ؟!  
وكمثل موج البحر

منبطحاً على الشطآن  
موصولاً بسر الماء من تحت العباب  
أرأيتَه ياسيدى موجاً يموت ؟!  
وكمثل أمطار الشتاء  
تَهْلُ في ميقاتها العلوى  
تمسح عن وجوه الأرض إعنات السنين  
وتَقْرُ في أرحامها  
سِرَّ اندلاع الأرض بالأقياء توسعها نوالا  
أرأيتَه يا سيدى مطراً يموت  
يا سيدى  
إن البطولة لا تموت

\*\*\*

دهرٌ يفوت وألف قارعة تفوت  
تتزاحم العثرات فوق دروبنا  
نجتازها . تجتازنا  
نمضى ونقرنها السكوت  
وتموت فوق كواهل الأيام أسرعُ تسابق في المدى  
كانت تحاذر أن تموت  
لكنما عبق البطولة لا يموت

\*\*\*

تتواصل الكربُ التي ينشق عنها الليل  
توغل خلف أصداء المدى  
لكنها تمضى وتبحر في المسافات التي صدنت عليها الذكريات  
وتدور في فلكِ صموت  
تمضى . تغادرُ أفقنا المشحون بالشجن المداور  
تختفى . تفنى . تموت  
لكنما عبق البطولة لا يموت

\*\*\*

خمسون عاماً  
والرؤى في المشهد المأثور تومض في جوانحنا  
تمضى وتختصر المسافات العميقة والسنين إلى السنين  
لترقه ألقاً  
يصافح ذكريات العشق في دمننا  
ويولد في تواريخ النضال

\*\*\*

هذا الفتى المنساب في دمننا  
ما زال في خلد الزمان فتىً  
ولداً صغيراً عاصف الأحلام منداح الخطى  
ما اختال يوماً بالبطولة  
وهي فوق جبينه

تاج . مزامير . أغانٍ وابتهاالات ورايه

وسنى يشع وأنجم تضىوى

وإكليل وآيه

يا سيدى

عسران لا ما مات

ما انداح مثل قوافل الموتى

تنهل فى الميلاد . تحيا . ترتى

فى الكون . تمشى فى مناكبه . تموت

ما مات من ميلاده وهج

وسيرته انكباب فوق صدر الشمس

يقرؤها اندلاعا واندفاعا

من خطوه

سور تضىوى فى كتاب العشق

يحكيها المدى للأسيات

من عشقه المرقوم فوق صحائف الأيام يتلى مثل أورد القنوت

أكذا يموت !!؟

ياسيدى

إن البطولة لا تموت

أبريل ٢٠٠٤

## غنيّة مكة

مع الاعتذار لغيروز \*

...

غنيّة مكة أهلها الصّيدا  
وبكيت فيها الحلم موعودا  
وجثوت عند البيت منكسرا  
أدعوه رب البيت معبودا  
وأنتيها دار المعز فما  
أبصرت فيها العز معبودا  
سألت نهر النيل عن ألمع  
في شطه كانت عناقيدا  
ما بالها أشواقها انطفأت  
أمسين تسهيدا وتسهيدا  
أهوى النذير على بشاشتها  
وأما فيهما البشّر والعيدا  
لما تداعى خلف أمتها  
كيد لئيم دونها كيدا  
قطب الزمان وخلفه ذنب  
دانت له الدنيا موعيدا



يُنْثَى عَلَى إِيقَاعِهِ نَغَمٌ  
مَنْ شَذَّ عَنْهُ بَيَاتٌ مَفْقُودَا

\*\*\*

وَعَلَى خَلِيجِ النَّارِ رَاحِلَتِي  
لَمْ تَلَقِ إِلَّا الدَّرْبَ مَسْدُودَا  
أَرْبَابُهُ أَضْحَوْا لَخَاتِلِهِمْ  
فِي الْحُبِّ عَشَاقًا مَعَامِيدَا  
لَا يَنْشُدُونَ عَلَى رَبَابَتِهِ  
إِلَّا كَمَا يَهْوَى الْأَنَاشِيدَا  
شَاعُوا الْخَنُوعَ لَهُ فَصَيَّرَهُم  
جُرْذَانٌ لَيْلٍ . رَمَّةٌ . دُودَا  
بَاعُوا الْعِرَاقَ لَهُ بِلاَ ثَمَنِ  
إِلَّا بِوَعْدِ كَانَ مَوْعُودَا  
أَنْ يَرْبِعُوا فِي ظِلِّ قَامَتِهِ  
إِنْ كَانَ عَهْدُ الذَّنْبِ مَعْهُودَا  
ثَارَ الْعِرَاقُ إِذَا يُطَارُ لَهُ  
بَاعُوا بِهِ سُودًا مَنَاجِيدَا  
صَوَّبَ الْخَلِيجَ نَأَى لِمُنْتَجِعٍ  
يَبْفَى لَدَيْهِ الْآنَ تَجْدِيدَا

سألت وجه الشمس عن ألقى  
فى أفقها قد كان مشهودا  
من عارض ينساب من مضرب  
قد كان فى الأعراق ممدودا  
واحسرتا ألفيته مزقاً  
تنأى به تيهها وتشريدا

\*\*\*

ماريت وجه الشام أحسبه  
حلمى الذى مازال مرصودا  
أحصيته فى الثائرين فما  
أبصرت فيه العزم مشدودا  
قد كان يشدو فى ملاحمه  
يشجى الحنين ويشعل الجودا  
أضحى وصمتاً فى اللهاة فما  
ينداح قيثاراً ولا عودا  
أضحى الكريم فتى يراد له  
لو أنه فى قيده قيودا

\*\*\*

وسريت للأقصى المبارك لا  
آلوه تعظيماً وتمجيذاً

وأعـيـذه أن يـسـتـكـين إذا  
غـالـوا به الأفرـاح والعـيـدا  
وأذوب فى روح الشـهـيد إذا  
تُقضى الشهادة عاد مولودا  
تتناسل الأرواح من دمه  
وتعود تشـتـاق أنمواعـيـدا  
يا ناعمين على أسـررتهم  
كيف المنى أمست أغاريدا  
أغفوا على الأحلام وارفة  
خضراء فانهلت عناقيدا  
كيف الهوى لو أن طائركم  
عن أيكـه ينداح مطرودا  
يا عاره من باع نخوته  
وشرى بها أحلامه السودا  
\*\*\*  
فتشت عن نار مقدسة  
ألقي بها غرباً أجاويدا  
لا يوثقون إلى أعنتهم  
درباً غوى القصد منكودا

ما انداح لى إلا السراب وما  
ألفيتُ إلا مُسلماً جيداً  
للطوق يهديه إلى زمنٍ  
يضرى به ناراً وأخدوداً  
\*\*\*

غنيت مكة أهلها الصيدا  
وبكيت فيها الحلم موعوداً  
ومضيت أحصيتها مقابرنا  
وكللت إحصاءً وتعيداً  
أمثالنا عدداً ومابرحت  
تجتاح فينا الماء والبيدا  
كنا بأيدينا نشيدها  
حتى ملأنا الأرض تشييداً

أبريل ٢٠٠٤

هو دَيْنٌ في ذمتي

إلى رفيقة العمر

...

وَهَنَ العَظْمُ واستَحَالَتْ برَأْسِي

عَتَمَةُ اللَّيْلِ أنْجَمًا وِجْدًا

ومَشَى الدهرُ في كِيَانِي حَثِيثًا

ولَقَدْ كَانَ جِلْمَدًا وَحْدِيدًا

رِيشَةً وَاتِحْنَاءَ ظَهْرٍ وَذَكَرِي

عَنْفَوَانٍ غَدَا دَبِيبًا وَنِيدَا

وَسَهَامٍ مَصُوبَاتٍ بِرَاهَا

عَاصِفٌ جُنٌّ فِي الدَّمَاءِ عَنِيدَا

ذَاكَ مَا صُرْتُ مُسْتَكِينًا إِلَيْهِ

وَمُسَوِّقًا إِلَيْهِ سَوِّقًا شَدِيدَا

غَيْرَ أَنِّي وَتَحْتَ ظِلِّكَ أَغْفُو

مَفْعَمُ الْقَلْبِ رَاضِيًا وَسَعِيدَا

لَا أَبَالِي بِمَا تُكُنُّ اللَّيَالِي

مُنْعِمًا جَاءَ أَوْ عَصِيًّا كُنُودَا

\*\*\*

حِينَ غَشَى الضَّبَابُ لَوْنَ عَيُونِي

وَيَتَمَادَى النُّظْلَامُ فِي نَاطِرِي سَا

وغدت رحلتى إلى الكتب والأقـ  
— سلام درباً مشاكساً وعصياً  
كنت لى أعينى وكنت يمينى  
والمرايا التى تفيض عليـا  
حين غامت خواطرى وخيالى  
وتخبطت فى الظنون عـياً  
وتماديت فى المتاهات حتى  
صرت حيران ناسياً منسياً  
كنت لى فيض خاطرى وهذاه  
ودليلى يقود خطوى إليـا  
لا عدمت الضياء من نور عينـى  
ك ولا فطنة تُضئ المحيـا  
\*\*\*

صرت من طول ما استفزتك أوجا  
عى طبيبى ومسترد دوائى  
لا تنامين قبل أن تطمئننى  
أننى نلت من دواء المساء  
وتبيستين حلمين بـأنى  
فى غدٍ وارد مراد الشفاء

ربما تعنفين يوماً إذا ما  
ضقتُ من كثرة الهموم إزائي  
فتراخيتُ عن دواءٍ مريبٍ  
أو تخلّيتُ عن نظامٍ وقائي  
غير أني أرى الحنان دفيناً  
مثل خفق السنّي ودفق السماء  
وأرى الدمع موشكاً أن يغنى  
خلف جفنيكِ في لحون الوفاء  
\*\*\*

بحياتي التي سهرتِ عليها  
وبقلبي الذي يذوبُ حنيناً  
لست أوفيكِ بعض ما في يقيني  
من أيسادٍ تواصلت بي سنيناً  
كنت لي خيمةً تظللُ عمراً  
كان للشمس والعراء رهيناً  
فتماديت في هواه نسيماً  
وتراميت في صدهاء لحواها  
يالها الآن من خواطر تسرى  
في ضمير المدى تنثر الشجوناً

قد تولّى زماننا واحتوانا  
عالمٌ بالأسى يُجنُّ جنونا  
عالمٌ أثقلَ الخطى بالخطايا  
ثائرَ النارِ مستفزاً حرونا  
كنت لي فيه واحتى وكرومى  
وندامى والأليف الأمينا  
يا شعاعاً من المنى كيف أنسى  
مؤثّقاً مُغدقاً وعهداً متيناً  
كلُّ ما كنته حناناً وحبّاً  
واحتفاءً وفرحةً وفتونا  
هو دين فى ذمتى سوف أبقي  
لمدى العمر بالوفاء مدينا

أبريل ٢٠٠٤



## النصرآت يا أمير المؤمنين

" إلى أبطال المقاومة العراقية البواسل "

...

هوذا يعود مُحَرَّمٌ

يتلو ملاحمه الدم

ويعود مشتملاً عباءته المدممة القديمة

متلفعاً

أحزانه الملتأثة الأشواق بالوجع القديم

هوذا يعود محرم

يُدلى بذكرى النار والإعصار

توغل في التواريخ المهيضة

أيامه تنسلُ عبر زمانها

سوداً كألسنه الحراب

هي ذى تعاود كربلاء النوح من خلف القتام

وعلى ثراها المضررم القانى المضمخ بالتأويل البرينه

ينداح من فيض السماء كأنه الديم السكوب المترعه

ما أروعه

ما أشجعه

هوذا الحسين يعود يفترع المدى

ويشق قلب الليل تسبقه تباشير الصباح

هوذا يعود مضرجا بالعطر  
ممتطياً متون الريح  
منهلاً بلون الكبرياء  
هوذا أضاء شموعه  
ولوى أعنته وجاء  
وعلى ميامنه تخبُّ ركائبُ  
تنداح بالآلق المبين  
وبشائر الفتح المسافر للمدى  
حتى وإن حُمَّ الردى  
وطوت فيافيهِ السنين  
حتى وإن ساخت قوائم خيله الفرعاء في اليوم الحزين  
فالنصر آت يا أمير المؤمنين  
هو ذا الحسين يعود منكسر القنا  
ويعود منتصر الإياب  
ما عمره عن ساحة الأشواق غاب  
هوذا يعود كأنه  
ما ناشه ظفرٌ وما أرداه ناب  
لا تنحنى عَقَبِي سوافيها العُقاب  
حتى وإن خارت قوادمها  
وتقاذفتها الريح واندلعت شظايا

سَموت وهى تراود الآفاق عن أحلامها  
وتبثها لغةً تعانق فى مساريها النجوم  
هوذا يعود  
وكتابه بيمينه  
قَسَمَ ليخترمن غاشية الردى  
ليعود فى الأسطورة النشوى شهيداً من جديد

\*\*\*

هوذا يزيد وهما هو الثقفىُ جاء  
ليخوض كالإعصار فى لجج الدماء  
المشهد المنكود يوغل آتيا  
من خلف أسوار الزمان  
ليعاود المأساة يوحىها صدى  
لا يستكين ولا يغادر . لا يريم  
هوذا الحسين تقاسمت أشلاءه الآفاق تنسله لهيبا  
ينداح فى كل المدائن  
يوقظ الألق المغادر من سنين

\*\*\*

قد كان يفتersh الثرى  
ومداه يولد فى الثريا  
الآن تحتشد الجموع المصطفاة المؤمنه

لترده جسداً يطل على التواريخ الحزينه  
هى ذى عقائله ينحن وينتحن  
ويقمن ماتمه على كل الدروب  
وينوه فى كل المفارق يرحلون  
من خلفهم تعدو الكتائب مثخنات بالأقاويل الكذوب  
مستنسخات من زمان تُفترى فيه البراءة  
يستحيل الصدق مينا  
يحملن ألوية كرايات البغايا  
يتلون أدعية تحاذر أن تجادل عن نبى  
يختاتها النبأ الدعى  
تنبو بها الدنيا سماوات وآفاقاً وأرضاً  
ويقمن فوق ضفافها الأوزار نافلة وفرضا  
وصدى يدور مع الموائيق المراوغة الخنون  
هو ذا الحسين يعود مندلقاً على وجه الثرى  
يُجزى جزاء المارقين وتُفترى فيه الدعاوى  
ويبوء بالنار التى آوته فى وهج السنين  
هو ذا الحسين يعود فارتقبوا  
كيف الحسين يعاجل القدر القديم

مايو ٢٠٠٤

حديث الماء والشار

- ١٠ -

محمد صالح الخولانى

من أحاديث الهدى

لسليمان الحكيم

...

لا تلمنى

يا نبى الله وامنحنى من الصفح نصيبا

كثرت منى الخطايا

واستدارت بى الرياح الهوج أن أمثلَ قدام النبى

قد تقاصيت عن الساحة

باعت بخطاياى المواقيت الكنود

وترامت بى غواياتى لألقى ما تداعى

فى حنايا الكائن المخلوق من توق إلى هتك الغيوب

ما تَكُنْ الحُجْبُ القصى وما يومض هونا

خلف أستار المجاهيل الخوافى

غير أنى

لم أكن عن دربك المرصود يوماً بقصى

ما تراخيتُ عن البر الذى أوصيتنى

ما تداعى خلف أشواقى جبارَ شقى

لا وما أمسيتُ يوماً

ذلك الروح العصى

يا نبي الله إني  
كنت أُمسيتُ شغوفا  
منذ أن غاديتها بلقيس تعنو للشموس  
أن أرود الأرض جواباً لعلّي  
ألتقي ناساً تَخْلَوْا  
عن نواميس نماها الله في الكون الكبير  
عن تجلّي فطرة الخالق في الناس خشوعاً وخضوعاً  
علنا نَهْدِي هداها  
يا نبي الله تتحاز لتقوى المتقين  
فتمادى بي جناحائي إلى أرض بعيدة  
فزعاً مُستنفرَ الروح مليئاً دَهْشاً  
مستتاراً بالذي عاينتُ مأخوذاً مهيجاً  
أبصرت عيناى قوماً  
ما تداعوا دون وجه الله للشمس إليها  
لا وما انداحوا ينببون إلى وجهه وثن  
ربما صلوا وصاموا  
ربما أفضوا إلى المعمور غماراً ورهطاً وحجيجا  
غير أني ياتبي الله أبصرت أناساً  
يعبدون الناس إن باعوا إليهم بولاء  
وينيبون إلى صوب العتاة المرجفين

ويبيعون الدم الحر الذي كان حراما  
لبغاة الأرض عَقَبَى أَنْ يُجَازَوْهُ وَلَاءُ  
أَنْ يَحُوزُوا حُظْوَةً مَمْلُوءَةً  
لَا يُجَازَاهَا عَيْبٌ  
دُونَهُمْ قَسَطُ الرَضَى يُدْأَى بِهِ بَغَى الْبَغَاهِ

\*\*\*

غَيْرَ أَنَّى يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَبْصَرْتُ مُلُوكًا  
قَدْ تَجَافَوْا عَنْ صِرَاطِ الْعَدْلِ وَاسْتَعْشَوْا بِهِ  
رِيقَةَ الذَّلِّ يَسِيرُونَ بِهَا صَوْبَ رِقَابِ الْبَائِسِينَ  
يَسْلُمُونَ الْحُوزَةَ الْمَرْعِيَّةَ الْعَصْمَاءَ فِي أَمْرِ الرِّعْيَةِ  
لَطَوَاغَيْتَ اسْتَبَاحُوا  
بِقِضَاءِ السِّيفِ وَالنُّطْعِ وَطُوقِ الْغَالِبِينَ  
سَاحَةَ الْحُلُمِ بِأَشْوَاقِ الْحَيَارَى الْمُتَعَبِينَ

\*\*\*

غَيْرَ أَنَّى يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَبْصَرْتُ شُعُوبًا  
ضَعْفَةً تَسْتَعْذِبُ الذَّلَّ وَتَسْتَمِرُّ وَطْعَ النَّعْلِ تَنْقَادُ بِقَيْدِ الْخَاثِرِينَ  
تَنْحَنِي لِلْسُوطِ وَالسَّائِطِ تُعْطَى  
قَبْضَةً الْجَلَادِ مَا يُعْطَى عَلَى النَّطْعِ الذَّبِيحِ  
وَتَبَارِيهِ خُنُوعًا وَاصْطِبَارًا وَانْدِحَارًا  
لَوْ يُبَارِيهَا عَتُورًا وَغُلُورًا وَاقْتِدَارًا

ذاك ما عاق مسيرى  
عقل الطوق وأزرى بالجنح  
فترامت بى إلى التيه تهاويل الرياح  
وانتهى بى يا نبي الله أن أوغل فى درب الخطايا  
غير أنى  
بلرنا من ذمة العصيان منداها إلى  
سلحة التفران أوأبا منيا  
أترجك لذنبى مونلا برأ رحيا  
لا تلمنى يا نبي الله وامنحنى من الصفح نصيبا

أبريل ٢٠٠٤



## أولد .. فى عينيك

...

لم أكن أعلم يوماً  
أن للبحر سهاماً وتصاويب ورميا  
أن للنجم ارتعاشاً ذهبيا  
فى عيون الجدول المناسب ما بين الحقول  
أن للأمرار فى عمق المدى  
سطوةً تسبى وسلطفاً مهيباً  
لم أكن أبصر دنيا  
يتوارى الحلم فى أطرافها خلف الجفون  
ويقتنى

صولة العشق وأصداء الجنون  
قبل أن أولد فى عينيك مولوداً حقيقاً  
قبساً فى أول الضوء الذى ينسل من نجم بعيد  
أن ميلاداً جديداً يتوالى  
للأغاريد وللعطر وللطير المغنى  
كلما

عانت عينيك أشواق عيوني

\*\*\*

لم يكن يخطر لى عبر خيالى

قبل أن أولد في عينيك عصفوراً لعباً نزعاً  
أن في العينين لو شاء الهوى  
عالمًا من فتن العشق غوى واندققاً  
يوقظ الروح فيعدو خلفه  
بفؤاد في مداه احترقا

\*\*\*

يالها من شرفات  
كلما أمعت كي أرتادها  
سفرًا يدنى لقلبي مشتهاه  
خلت أنى كطيور البحر تنداح بعيدا  
كي تروود الأفق الغافى على شوق الندانى  
خلت أنى  
فوق متن الريح أساقط غيثا  
ينبت العشق على الأرض أحياء . ندامى وسكارى  
ولحونا في حلق الطير تنهل بأشواق الغناء  
وتراتيل وأوراد صلاة وابتهاال  
تتداعى في قلوب العاشقين

\*\*\*

ذلك الميلاد أنسانى تواريخى القديمه  
وتمادى في تقاويمى شمساً طيعه

وارتعاشات فصولٍ مترعة  
وجنى قبل أوانٍ يجتنى  
ما أينعه  
ذلك الميلاد أهدانى نشيداً  
كلما غنيته خيلت أنى  
عشت فى إيقاعه المرفف ميلاداً جديداً

مايو ٢٠٠٤

## المـرايا

...

كنت مسرئ لظنوني  
ومراداً لاشتياقات عيوني  
أيها الكون الذى كان ظلالاً وخبايا  
يوسع الفكرة أن تومض فى الروح هلالاً يتنامى  
صوراً شتى وحلماً وخيالاً واشتعالا  
ومدى أوغل فيه سفيراً  
كلما أمعن فكرى  
فى مراياك ارتحالا

\*\*\*

ذلك الطير الذى أودعه الله تباريح القلوب  
وحياه الرغبة العجلى لكى يوهن أستار الغيوب  
كلما بادره الشوق تداعى  
وترامى للوثوب  
ذلك الحلم الذى يولد وهنا فى الليالى  
يشعل التوق بقلبي  
يسكب النور حيالى  
لأرى وجه زمان معتم  
فى خفاياك التى كنّ مرايا لخيالى

\*\*\*

فى فضاء الله . فى الكون الكبير المترامى  
كانت الأقمار والشمس وذرات النجوم  
والمدى الهائل يخفى خلفه  
ألف دنيا تتوارى فى الغيوم  
يثب الفكر على أبهائها  
مستثاراً مغرماً مستبقاً  
والخيال الجامح المجتاح نسرّ  
يترامى مُصعداً مخترقاً  
يوسع العالم دنيا  
من رؤى تورق أحلاماً وشوقاً وظنوناً  
تسكب الروح بقلب الطين  
ينداح مدى  
تُمل الأعطاف ينهل جمالاً وجلالا  
ويغنى الشعرَ موسيقاً ترامت للسديم  
واستطارت فى شعاب الأرض أنغاماً وزهواً وفتونا  
ينطق الصخر بأشهى مايقال  
وببوح العطر ينهل عبيراً فى التلال  
يُرَقص النخل على مسرى الهوى  
ويغادى النهر روحاً

يبسط الأرض نسيماً وظلالاً

\*\*\*

كيف أمست كل هاتيك المجالى  
والمجاهيل التى كانت مرايا لخيالى  
صفحة فى مستراد ناصع  
بائع بالسر يوحى لمواقيت التجلى  
كل ماذق ومارق وما  
كان فى الغيب ذراً وهباء  
أتراها

بعد أن عرى مداها  
ونع الإنسان بالإيغال خلف الظلمات  
فتمادى يتقصى  
كل درب لفه الغيم وتاها  
أتراها

موحيات يعد بالروح الذى  
يشعل النار بأشواق السنين ؟

\*\*\*

أيها الكون الذى انداح فما  
عاد يخفى منه ما كان خفياً  
يتأبى الشعر أن يرضاك محلى لليقين  
إنما يرضاك أن تبقى مراداً للظنون

مايو ٢٠٠٤

حديث الماء والنار

-٧٠-

محمد صالح الخولاني

## كان الذى عشقته هنا

...

تواثبت أعنة الخيول فى دمي  
كأنما على متونها استطارت النيران  
تنبت فى جناحي الكسير ألف طائر يطير  
تنقر الرياح فى براح جبهتي  
وترتمى بي فى مدارها الموفى  
سار بلاحدٍ ولاجواد  
مالى سوى توكنى على الحصى  
سقاية وظلّة وفضل زاد  
أمضى وحولى التيه مطلق العنان  
أسائل الوديان والركبان والقيعان  
كيف السبيل للذى عشقته  
وكيف آوى للمدى المشاكس الحرون  
\*\*\*

كان الذى عشقته هنا  
إن جعتُ مذ لى أطايب المنى  
وإن ظلمتُ شق لى دوافق السواقى  
وإن عيبتُ كان رقية السلامه  
وكان ترياق المسهد العظيم  
\*\*\*

كان الذى عشقته هنا  
يصنع لى من أغنيات الليل فى السحر  
براءة الجناح وامتلاء الشراع بالرياح  
إذا أردت أن أخوض رحلة إلى القمر  
وكان إن أردت أن أطول نجمة من العنان  
يطير بى إلى مجرة السديم  
لأجمع الأغاني الملقاة فى أرقعة النجوم  
هدية  
أحى بها غرامى القديم

\*\*\*

كان الذى عشقته يبوح لى  
فى عتمة الطلسم المخبأه  
بألف سر عن أهلة السفر  
وألف ألف خاطر  
عن رحلة العيون فى العيون  
وكان من عشقته  
مداد أحرفى  
إذا أردت أن أحاور اندلاع لحظة الجنون  
وأن أبوح بالذى يمور فى الظنون  
وأن أرافق الطيور فى ارتحالها إلى النجوم

\*\*\*



كان الذى عشقته  
دليل أوبتى  
لدى ارتحالى فى المغاور العتيمة  
يضىئ لى مسارب الرجاء  
وينثنى بى مُصعداً إلى السماء  
إذا أردت أن أهِلّ فى عباءة المطر .  
\*\*\*

كان الذى عشقته  
يملى على أحرف النداء  
فأنتنى  
أبعثر الحروف فى مرافق السؤال  
ألملم الظنون فى انعطافها  
أحجية عصية المنال  
تمور فى انطفاء أعين المسافرين  
وفى انكفاء اللحظة المراوغة  
لعلنى إذا ظفرت بالجواب  
أحصيه فى دفاتر اليقين  
وفى متون لحظة الإياب  
\*\*\*

وذاآل لبل ضارع  
مستوحش المدي  
صحوآ لم أآل لسمآه صدي  
عند انسآل لحظة الغناء والبكاء  
وعند موعآ ارآالنا  
إلى آخوم مرفأ  
ظمان لم نزره من سنين  
فياآرى  
أين الذى عشقه ؟  
هل ارآمى وراء آائظ الزمان  
أم اسآباحآ روجه الهموم والأآزان  
أم آرأ طائرأ مفزع المدي  
مطأطنا آناآه  
ومسلماً براآه  
لقيمة شريآه مضبعة  
لاسمآ . لا مكان . لا عنوان

مايو ٢٠٠٤

أيتها الحسناء  
يارهيفة الخطى  
ويا رخيمة النداء  
منذ متى وأنت تقرئين لى السماء  
وترصدين لى مواقع النجوم  
وتعقدن ألفة حميمة  
ما بين شوقى الملهوف للقاء  
وبين ما تثير فى الإصبع النحيله  
\*\*\*

أيتها الحسناء يا بهية الصبا  
ويا سمية القمر  
منذ متى  
وأنت تقرئين لى الطوالع المخبأه  
من يوم أن بصرت بالأهله المنيرة  
تنثال خلف خطوك الموقع الرهيف  
والقامة الفرعاء قصر باذخ منيف  
ومنذ أن أهلت كالغمام  
تواصلين فى نداءك الرخيم

وتبسمين

وتعرضين لى قراءة النجوم

\*\*\*

وعندما رضيت أن تحدثينى

عن قَدْرِ المخبوء فى قرارة الزمن

وعن تواصلى مع اندفاقة الغمر

تبيين زين ما تخبى السنين

وتشعلين التوق والترقيب المثير والحنين

أحسست أننى أخون منطقى القديم

وأننى

أبعثر المدى الذى ألفتُهُ

فى صحبة الأفكار والتماعة اليقين

وأننى أودع ما حفظت من متون

لدى أكنة سوداء معتمه

وأننى

أهين تاريخاً من العناء والمكابده

ومن تواصلى المذيب نوراً أعينى

مع انكبابى فوق ساحة الحروف

لكننى

أدمنتُ فيك متعة الحوار

والقلق المثير حيرتى  
فى شوق الانتظار  
كان الذى طوّح بى لشاطئ المغامرة  
ما تحمّلين يا حسناتى الجميله  
من ألقٍ يمور فى العيون  
ومن ضحى يلمع فى نضاعة الجبين  
ومن براءة فى الصمت والمحاوره  
ومنطق لا يعرف المداوره

\*\*\*

لكننى والحق يا صبيّه  
ما احتجت يوماً  
أن أطل خلف حائط السنين  
إذا ترامت بى وراءه المنى  
وحلّق الخيال واستدار يمعن السؤال  
لأعرف المقدور والمكتوب والمتاح  
لكننى ما عشتها قضيّة  
ليس لأنى مذعناً  
أعنو لسطوة الغيوب  
ولا لأنى لا أكن رغبة  
فى أن تجلّى لى السوانح الموجّلة

لكن لأننى أعيش عالماً  
يشى إذا ما أشرق الصباح  
بما يَمُور فى أكنة المساء  
وتتجلى عن أفقه شواهد المرايا  
وما تخبئ الضمائر اللعوب فى النوايا  
فعاد شأن الغيب حسبة موثقة  
إذا تضى الحاسبات ساحة اليقين  
وتنتنى الدفاتر المريشة المصوبة  
تستطلع الغمام تستبقيه فى السؤال  
فترتمى حياها شواهد الظنون  
\*\*\*

يا طفلى البرينة العيون  
قد علمتنا حكمة السنين  
إذا أردنا أن نجوس فى عتامة الغيوب  
وأن نطير للأهلة المؤجلة  
أن نعمن الترحال فى الدروب الوجهه  
فتتجلى من بعد غاية المسير  
وهاهى الشواهد الأثيمة اللثيمة  
فى عالم مُضتئى معذب جريح  
بألف منطقٍ مداورٍ نصيح

يأيها الملقين في أزفة الزمن  
المالئين ليله  
بغفوة غيبية كسول  
المدلجين في ضلال ألف ليلة ملول  
قوموا وحدقوا  
في مقلة الغمام  
لتعرفوا من بعد ألف عام  
متى وكيف يهطل المظل

يونية ٢٠٠٤

## نجواى إليك

" يا أمى "

...

العصافير التى تغدو خفافاً وثقالاً  
والنجيمات التى تورق فيناً وظلالاً  
والحكايات التى تولد نشوى فى السحر  
تتهادى فى انعطاف الليل أشواقاً  
وفى صوب الغمام  
وأحاديث القمر  
والمدى يشمل عطفاه . يغنى  
مولعاً بالشمس والظل وأعياد المطر  
والفراشات اللواتى  
يعتنقن النور شوقاً  
ويراقصن الظلال  
ويغنين أناشيد الضياء المشرعه  
واندياح العطر فى الموج ارتحاناً واعتراباً  
ذلك المحفل ينهل لعينى مرايا  
مرحاً ينساب كالنسمة موسيقا خفيه  
فى أغاني الشفق المرخى على صدر الغروب  
كنته لى



كلما أهلت فجرأ في يقيني  
كلما خابل روعي  
وجهك المائل في عيني شمساً لا تغيب  
\*\*\*

إيه يأتيها الموجة من عطر التداني  
كيف بي أغدو مع الناس وأمضي في الدروب  
يشتريني النزق المنداح في النهر العصي  
ويبيع الشوق في صدري ارتمائي  
في الليالي المتعبه  
وأنا منك سراب حائل يمرق مابين الشعاب  
كيف بي  
تولد الرغبة للأشياء في عيني أشواقاً مريضه  
مثلما تولد ميلاداً عصياً  
من ضرام النار أطياف الدخان  
واشتياقاتي التي تبعث دوماً للحياه  
كلما ماج بصدري ظمأ  
واستباحنتني على النار خطاه  
كيف بي  
لا أناديك فتمتد دروبي  
تحت ضوء الشمس مجلى للرضا

وانعطافاً للمواعيد الخصيبة  
وبساتين وأنداء ونعمى  
من ندى كفيك تهدينى صراط المهتدين  
\*\*\*

أظمأتنى وقدة الشمس على تيه الصحارى  
وأنا وحدى بلا ظلك أعدو وأهيم  
تاتها فى عتمة الليل وفى قيظ النهار  
أتشهى  
نسمة من فيك الممتد تسرى  
ظلة فوق جبينى  
ودعاء ضارعا من شفئك البرتين  
من لظى النار يقينى  
\*\*\*

أين منك اللمسة المرخاة من كفيك برداً وسلاماً  
يا شعاعاً  
من رضى الله ومن فيض دعاء الصالحين  
أسمعنى صوتك البرّ المواتى  
بالحكايات القديمة  
حدثينى مثلما كنت  
حديث الروع المشبوب فى قلب الصبى

يَتَمَلَّى فِيكَ مَبْهُوراً بِأَصْدَاءِ الْخِيَالِ  
وَيَظِلُّ اللَّيْلَ مَسْحوراً مَشَوْقاً  
لِلَّذِي كَانَ يُقَالُ

\*\*\*

آه مَا أَغْلَى هَدَايَاكَ الَّتِي أَهْدَيْتَنِي  
وَأَنَا فِي زُورْقِ الْأَيَّامِ مَحْمُولٌ إِلَى الْأَرْضِ الْبَعِيدَةِ  
كَيْفَ أَنْسَى  
ضَمَّةً مِنْ سَاعِدِكَ  
قُبْلَةً مِنْ شَفَتَيْكَ  
دَمْعَةً تَنْهَلُ حَرِّي  
بِرَّةً مِنْ مَقَلَّتَيْكَ  
آيَةً تَشْرِقُ إِيْمَانًا وَصَبْرًا وَيَقِينًا  
أَنْ يَعُودَ الرَّاحِلُ الْمَوْغِلُ لِلْحَضَنِ الدَّفْنِ  
حَامِلاً نِعْمَاهُ مِنْهَلًا حَبوراً وَسُروراً

\*\*\*

رَغْمَ مَا تَبْلُونِي السَّبْعُونَ مِنْ جُورِ السَّنِينَ  
وَالْتَجَارِيبِ الَّتِي أَشْعَلْنَ فُودِيَّ ضَرَامًا  
وَأَنْخَنَ الدَّهْرَ فَوْقَ الْهَيْكَلِ الْمُضْنَى  
وَأَوْهَيْنَ الْعِظَامَ  
فَأَنَا مَازِلْتُ هَذَا الطِّفْلَ أَهْفُو

للينابيع التي تدفق برأ وحنانا  
وأنا ما زلت أرتاد حناياك الخوالي  
باحثاً عن فيئك الدافئ أستدنيه مأوى  
علنى ألقى لديه الآن سلوى  
توسع خاطر أن يهجع مأنوساً رحيباً  
\*\*\*

ها هي الذكرى تناديني فأهفو للنداء  
وتواتيني بلحن قدسى  
ضارع يصعد بي صوب السماء  
لألاقيك على مدرجها العلوى  
نوراً وبهاء  
يا شعاعاً  
من رضى الله ومن فيض دعاء الصالحين  
رحم الله زمناً كنت لى  
جنة المأوى ودنيا المسعدين

مايو ٢٠٠٤

## إرتحال

...

ها نحن نمضى فى ارتحالنا  
نغذ سيرنا  
إلى تخوم الأثرمن البعيدة القصية  
تلك التى لا تحتويها ساحة المدى  
ولا تمر من معابر الحقب  
ولا يعيش فى التقويم عمرها العتيم  
تلك التى  
لم تُحصَ بعدُ فى دفاتر السنين  
ولم تُقَيَّد فى متونها الشواهد المؤجلة

\*\*\*

الآن نمضى فى ارتحالنا  
لم ندر كيف نرصد الأثرة المسافره  
وأى ليل يوقظ الرياح فى الأثرعة الممزقة

\*\*\*

ها نحن نمضى فى ارتحالنا  
وفى عيوننا  
خارطة عمية مشوشه  
خيولنا

لا تستطيع أن تجادل الصخور  
وترتمى إلى أعنة السماء  
لا تستطيع أن تمد أذرعاً  
إلى شمسٍ لم تغادر قبة السماء بعد  
حتى زماننا القديم  
لم نستطع أن نشعل الدروب في مساريه  
لنستضيئ رحلة القوافل المسافره  
مرتدة إلى المطالع البعيده

\*\*\*

ها نحن نمضي في ارتحالنا  
إلى دروب ليلٍ موغلٍ عقيم  
ما انحط في أفقٍ ولا سديم  
وما وعاه أطلس الزمان والمكان  
وما تبدى من ورائه شفق  
يا بؤس في الدروب ما اندفق  
من الحميم ألف فرسخٍ غوى  
وألف ميقاتٍ مدهنٍ غبى

\*\*\*

ها نحن نمضي في ارتحالنا  
نجوس في الأثرقة المبعثره

ونرتنى فى الحفر المسدلة الغيوم  
ونستضى بالشموس لم تصافح مقلة النهار  
وبالنجوم ما انحنت تقبل الخطى  
وما استدارت تشعل الحنين فى الصدور  
نبا بنا زماننا العنيد  
تلفظنا عيونه  
ويستبيح رعدُه وبرقُه وأنجمه  
برودة الدماء فى عروقنا  
والسحن المرمى فوقها  
بلادة تمور فى الظنون  
فما الذى صيرنا فى ساحة المجالده  
أعنة مهيبضة وبارده  
لا تعرف الولوج فى المراوده  
ولم تخاطر أن ترود مرة  
مرافئ اللجاج والمعائده  
وما الذى أباحنا  
لسطوة المحاور المراوغة  
تدير فى رعوسنا النعاس والخدر  
وكلما ارتد إلى سمائه بشر  
عدنا ندور فى الدوائر المفرغة  
\*\*\*

زماننا

لم نستطع أن نستبين أبجديته  
ولم نشأ أن نرصد اندفاعه  
إلى المرافئ البعيدة العنيدة  
فغال في عيوننا الترقب المديد للنجوم  
وحطّ في الضمائر البليدة المغيبة  
قاموسه الملى بالرؤى المغترية  
ونحن نستمرئ لحظة الذهول  
ونذعبيها لحظة المكاشفة  
ونستعيد كلما خبا أوارها  
تاريخها المشحون بالشواهد المؤتمه  
فما الذى رمى بنا لرحلة  
شقية المدى عصية الدروب  
هل أن أنهرأ من الجليد  
قد دقت الحديد فى عيوننا  
فلم نعد نقوى على اندلاعة الزمن  
أم أن عاصفاً مُمرّد الجناح  
ينقضُ كلما أظلنا صباح  
يُملى على عيوننا تمرّده  
يؤجل الأفراح للمدى المراوغ العقيم



ويرسل الرياح تمشهلاً بالنذير  
وتستظل بالردى وبالنكير  
ومالنا حباله  
طوقاً ولا أعتة ولا خيول  
إلا التي تحملنا رهينه  
تنداح فى المدى وفى الردى وفى الوهن  
تغوى بها الرياح كي تغادر الزمن

يونية ٢٠٠٤

علمتني

في صحبة المساء أن أخوض رحلة إلى القمر  
وأعتلى مناكب السماء كي أراود النجوم  
لتستفيق باقة من الأغاني  
تسيل نشوى في صدى الأهله الطروب  
أدور معها في حديث عاشق مشوق  
عن قدرى المخبوء في عيونك البرينه  
وعن تواصلي  
مع اندفاقة العطور في الزهور  
مع الخريف في الغدير والعبير في نساتم السحر  
إذا التقى من خلفها  
قلبان عاشقان

\*\*\*

علمتني

أن أوقظ الشمس من سباتها  
لكي تضئ لي مشارف الصباح  
لألقط النضار من حدائق النهار  
وأعقد الضياء حلية بهية

معقودةً بلهفتى  
وأسأل الطيور أن تعيننى على الغناء  
وأن تصبّ لحنها الرهيف فى تواصل المطر  
وفى تمايل الشجر  
وفى عيون الجدول المشاكس الجسور  
\*\*\*

علمتنى  
أن أنشئ الجسور والمعابر الحميمه  
ما بين صبوتى الراحشة النداء  
وبين رحلة الصدى لساحة الغناء  
وأن أرافق الليالى المسهده  
أطوف حول لمعة الطيوف  
عصية قصية وشارده  
أنظمها قلادة  
تخايل المساء بالضياء  
\*\*\*

علمتنى  
أشياءك العجيبة الغريبه  
تلك التى ما انحط فى سماتها  
توقع ولا تصور ولا خيال

أن ارتماء العشق فى ضراوة الحريق  
ضرباً من الهوى  
وليس ضرباً فى متاهة الطريق  
وأن نار العشق تغفر الذنوب  
كما يُبرأ الأوباء والمنيب  
وأن لحظة راجفة من اللقاء  
قد تشعل الحريق فى الدماء  
وتستثير فورة غافية ومستكنه  
لا مثلما تثير ألف ساعة  
مأبوسة وادعة ومطمئنه  
\*\*\*

علمتني  
إما كوائى الجرح لا أبوح  
وأن أدارى خفقة الجروح  
ودمعة الأسى  
فى أعين الصباح والمساء  
علمتني يا نار أن أذوب  
من دون أن تدرى بدائى الدروب  
وأن أضيع فى خطى المعذبين  
وملء قلبى الشوق والرجاء والحنين

علمتني  
أنى أغنى فى تدافع المطر  
كما أغنى فى توائب الخطر  
وأن موسيقا العناء والمكابده  
تدق فى جنبى مثلما يوقع النشيد  
علمتني

لما يغيم فى سمائى المدى  
ويطبق الجديد  
وتوأم الرياح فى براح خطوتى المديد  
أقبس من عينيك ساعة من الرضا  
فتشرق السماء فى عيني من جديد

مايو ٢٠٠٤

## قبضة .. من الوهج

...

ماذا لو أن قلبك الملى بالظنون  
يأبىها الملتاث فوق حافة مستنه  
وفوق نارٍ قد تغطت باللظى عيونه  
وبين دربين تخاصماه قنيةً . رهينه  
ماذا لو أنه

أمال إحدى الكفتين فى المراهنه  
وسار صوب النار والقتام والأهله المداهنه  
أو سار صوب النهر والعرائش الظليله  
أو صوب ربح برة رخيّة بليله

\*\*\*

تكشفت غلاجل الظنون واستبانّت الدروب  
وكلُّ أفق كاشفَ الرياح عن براءته  
وأوشكت ستائر الغيوم أن تبوح  
وكاد سر النار أن يلوح  
ما عادت الغيوب تستثير حيرة المساعله  
لأنه ما عاد خلف الأفق من غيوب  
فما الذى قيّد خطوك المهيب بين حافتين  
وما الذى أقلم ظلك المريض بين

والآن هيا  
خذ قرارك الذى يلقىك فى اليقين  
وانظر إلى ما تصطفى من عمق حافتيك  
وعش بها  
كما يعيش الراهب البوذى أثر السفر  
إلى شواطئ المرافئ البعيدة  
واختار أن تلوكه النيران كي يفيض للمراتب العلية  
يأبها المدار الملثا فوق حافة مسننه  
تود أن تحوز من دروبك التى تخصمت عليك  
قبضة .. من الوهج

مايو ٢٠٠٤

كنت أشعلت دروبى وهجا  
وتراميت عل أشرعتى  
حلماً يمضى لدنيا  
لم يطأها بعد فى الكون خيال  
لم تكونى ذات يوم قبساً  
من لظى الشمس التى تنداح ناراً وأوارا  
كنت ناراً قدسيه  
توشك الأنشواق فيها  
أن ترى فوق القباب المشرعات  
موعداً يدعو لميقات الصلاه  
كنت ناراً  
وسعت كل التباريح التى تشعل توق العاشقين  
وأمانى السكارى المدنفين  
ورعاة الحلم ينساب رفيقاً فى الرؤى  
ويعيذ الرحلة المضناة أن توفد لليل العتيم

\*\*\*

كنت لى أيتها النار المهيبه  
زورق الشمس الذى يحملنى



فوق متن الريح أرتاد الزوايا  
حاملاً بين ضلوعى  
من شفاه النهر أوراد المشوقين اليتامى  
كنت شوق الرفقة المضنين ينسلون فى الليل لوإذا  
نتملك دعاءً وتعاويذ بريئه  
كنت لى سقيا وكان الماء دفناً فى ضلوعى  
ذلك الماء الذى كان رقيقى  
عندما أوغل أرتاد حثيثاً  
تحت ظل الغيم أحلام سنى المطفآت  
وأمانى التى تولد فى لون تضاريس الوطن  
كنت أستسقيه من نبع توارى فى السماء  
واستوى فوق شفاه التهر ورداً للظماء  
عسلاً . خمراً . حليباً . كوئرا  
كنت لى والماء  
زاد السفر المضمنى لبیت فى القمر  
أنت تنهلين نعى  
ومواعيد وعطراً وجنونا  
تهبين العمر فرساتاً وخيلاً وصهيلاً  
ومضامير سباق للنجوم  
وهو يرقينى برقيا الغيم أن تزلق فى الطين خيولى

أن أرى تحت انهمار الشمس أشكو ظمئى  
ضارعاً خلف عذابى  
راجياً حافة ميزابِ صدى

\*\*\*

كنت لى والماء تعويذة أيامى العجاف  
حينما تولد فى الرغبة النشوى  
لكى أنساب حلماً فى الضفاف  
أنبتُ النسمة ترتادُ موافيت الرياح  
والأغاني فى لهة الطير  
والزرقة فى لون الحقول  
وغداة انهض فى الهيكل طوق وبناء  
وتداعى الغيم معقوداً على متن الرجاء  
وغدا العمر طيوفاً من بقايا زمن  
فاتر الخطو وميعاداً يؤلى  
غردي أيتها النار بأصداء لحونى  
وأعيدى صولة العمر وأشواق الليالى المتقله  
واملئى دريىً أطيافاً وأحلاماً وأصداء مرايا  
أشعلنى لى عمرى الموهن بالتوق القديم  
ما يزال العمر ملتاثاً بأشواق التداعى  
وبقايا العمر حتى إن تخطين السنين

وانطوى فيهن حتى رمق الضوء المولى  
تترجى ساعة كنت لهيباً فى الضلوع  
ما تزال النسمة المرخاه من آخر ليل يتوارى  
قبساً ما ينتنى ينبض من تحت الرماد  
فأهيبى ببقايا الشعلة المذكاة أن تومض هونا فى الدماء  
واجعلنى الماء رقيقى يتمادى  
مشفقاً برّاً حقيقاً فى عروقى  
مثلما كنت وصوب العمر فياض سخى

مايو ٢٠٠٤

## • محمد صالح الخولاني

- من مواليد بورسعيد عام ١٩٣٥
- تخرج في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر عام ١٩٦٣
- تنشر أعماله منذ بداية الستينات في الدوريات الأدبية بمصر والعالم العربي .
- صدر للشاعر :
  - ديوان (ملحمة الشعب البطل) بدولة الجزائر عام ١٩٧١.
  - ديوان (نصفى ويقول الموج) من دار المستقبل عام ١٩٨٧.
  - ديوان (في ذاكرة الفعل الماضي) عن الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ١٩٩١.
  - ديوان (مملكة البنقيات) عن دار آرت بورت عام ٢٠٠٣.
  - ديوان (أشواق رحلة العودة) في سلسلة الإبداع الشعري المعاصر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٦
  - ديوان (أغنيات وحكايات صغيرة) .. أشعار للأطفال عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٦
  - ديوان (سيرة ذاتية للحزن) عن دار الاسلام عام ٢٠٠٦
  - (الحلم والمؤامرة) مسرحية شعرية في سلسلة المسرح العربي عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٦
  - (أيام الدم) مسرحية شعرية عن هيئة قصور الثقافة عام ٢٠٠٠
- للشاعر نحن الطبع:
  - ديوان (أحلام العصافير) أشعار للأطفال .
  - ديوان (سعدون الميمون) أشعار للأطفال .
  - (زيارة لبيت القاضي) و(السقوط) مسرحيتان شعريتان من فصل واحد .
  - ديوان (رحلة إلى الله) أشعار إسلامية .

## قصائد الديوان

...

- ٥ - صمت النهر
- ٩ - ثلاثة أوجه للبراءة
- ١٣ - أحزان التاسع من نيسان
- ١٨ - إيقاعات على أشودة المطر
- ٢٣ - راية فوق رقاب الجبناء
- ٢٥ - من مفكرة مواطن مصري
- ٣٢ - شكوتك للعشق
- ٣٤ - النهايات
- ٣٧ - أبى
- ٤٤ - إن البطولة لا تموت
- ٤٨ - غنيت مكة
- ٥٣ - هو دين فى نمتى
- ٥٧ - النصر آت بأمر المؤمنين
- ٦١ - من أحاديث الهدد
- للسليمان الحكيم
- ٦٥ - أولد فى عينيك
- ٦٨ - المرايا
- ٧١ - كان الذى عشقته هنا
- ٧٥ - قارنة النجوم
- ٨٠ - نجواى .. إليك
- ٨٥ - ارتحال
- ٩٠ - علمتى
- ٩٤ - قبضة من الوهج
- ٩٦ - حديث الماء والنار

## أرثو بورت

للدعاية والإعلان والنشر

تليفاكس ٠٦٦/٢٢٢٤٤٢١ - ٠٦٦/٢٢٢٤٤٢١ - ٠٦٦/٢٢٢٤٤٢١ - ٠٦٦/٢٢٢٤٤٢١

رقم الإيداع بدار الكتب  
١١٢٤٦  
٢٠٠٧

ترقيم دولي (I.S.B.N) ٩٧٧ - ٦٠٧٧ - ٨ - ٨